

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله

أ. فتيحة محمد بوشعالة

المقدمة:

إن من أهم ما ميز المجتمع المسلم حرصه على التكافل والتعاقد والتعاون، فالمسلمون إخوة فيما بينهم تربطهم عقيدة الإيمان وأحكام الإسلام، وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وقد كان الوقف ولا يزال، واحدا من أفضل أنواع التكافل بين أفراد المجتمع المسلم، حيث امتاز بتعدد أغراضه وتنوع مصارفه، مما جعله عظيم النفع، جليل الفائدة، يحقق مصلحة الأمة ومطالبها، ذلك أن فكرة الوقف في الأساس فكرة تنمية المنحى، تصبو إلى تنمية الفرد من جميع النواحي، روحيا، سلوكيا، فكريا، اجتماعيا وماديا.

ما هو الوقف؟ وما المقصود بالتنمية؟ هذا ما سأتناوله بالتوضيح في هذا البحث.

أولا: تعريف الوقف:

لغة: الوقف لغة: مصدر وقف وقوفا، خلاف الجلوس، ووقف الأرض على المساكين حبسها، فمعناه الحبس والمنع¹، وتقول وقفت الدار إذا منعته من التمليك بالبيع والهبة والإرث وغيرها، وفي القرآن الكريم: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ الصافات/24، أي احبسوهم وامنعوهم من السير حتى يسألوا عما ارتكبوا من الجرائم. وكثيرا ما يذكر الوقف ويكون المراد به الشيء الموقوف؛ فيقال: هذا العقار وقف أي موقوف، ومن هنا جاز جمع الوقف على أوقاف ووقوف².

وهو معروف عند المالكية باسم الحبس والموقوف بالحبوس والأحباس، وقد عقد له الإمام الونشريسي مجلدا كاملا في كتابه "المعيار المعرب" وسماه "نوازل الأحباس"، تناول فيه الفتاوى الواردة حول الوقف.

اصطلاحا: أما في الاصطلاح فقد اختلفت التعاريف بحسب اختلاف مذاهب الفقهاء في شروط الوقف وأركانه.

فعرفه الحنفية بقولهم: حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة .
وعرفه المالكية بقولهم: جعل منفعة المملوك ولو بأجرة أو غلته لمستحق، بصيغة مدة ما يراه المحبس.

¹ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الكتاب العربي، 1983م، ولسان العرب، ابن منظور. مادة (وقف). دار المعارف، القاهرة

² مجلة أوقاف، السنة الثالثة، العدد 5، شعبان 1424 هـ / 2003 م

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

وأما عند الشافعية فهو حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود.

وأما الحنابلة فعرفوه بقولهم: تحبب مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرفه وغيره في رقبته، بصرف ريعه إلى جهة برّ تقرباً إلى الله تعالى.

وأشمل تعريف: "الوقف هو منع التصرف في رقة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء، وهذا التعريف هو أصدق تعريف مصور جامع لصور الوقف عند الفقهاء الذين قرروه."¹

وهناك تعريف معاصر للوقف، ذكره الأستاذ محمد عبد المجيد زيدان، وهو تعريف للوقف من حيث مقصده ومرماه ورسالته، مفاده أن "الوقف هو جهود مجتمع متمكن بدواع ورؤى متفاوتة لتثبيت خير أو استحداثه أو درء شرّ أو التحصين منه وضمان الاستمرار بمنع الزوال الإرادي وإلزام التشغيل المستقبلي بحده الأدنى وذلك لحفظ قرار وذاتية المجتمع إذا ما نادى به ظروف ومتغيرات السياسة أو الاقتصاد براءوس محمية، ومشروعية محققة وإشراف منضبط".² والملاحظ من التعاريف أن الأئمة في تعاريفهم للوقف لم يحددوا الجهة المنتفعة، فقالوا على جهة من جهات الخير، وجهات الخير تتغير وتنوع حسب الزمان والمكان، غير أنه في وقتنا هذا، اقتصرَت الجهات الخيرية على دور العبادة من مساجد وزوايا، وانحسر دور الوقف عليها، ولذا كان لابد من تطوير دور الوقف وتفعيله للإسهام في تنمية الأمة

¹ محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت، د.ط، ص.5.

² الوقف ودوره في التنمية، محمد عبد المجيد زيدان، [بحث مقدم في ملتقى الشارقة الأول للمؤسسات الوقفية 1423 هـ / 2002 م]

ثانيا : مفهوم التنمية:

1. التنمية لغة :نمي : النماء الزيادة، نمي ينمي نميا ونماء:زاد وكثر، وأنميت الشيء ونميته جعلته ناميا.¹

2. التنمية اصطلاحا :عرفت التنمية بأنها العملية التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين مع جهود السلطات لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية والمساهمة الكاملة في تقدم الأمة.² كما عرف مفهوم التنمية بأنها عملية تطوير وتغيير مستمر مرغوب فيه في جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية³. ومن هنا يرد ما يسمى بالتنمية المستدامة والمستمرة والشاملة، وهي وسيلة الحياة وغايتها لدى الماديين، وفي الإسلام هي وسيلة وضرورة من ضروريات الحياة وليست غاية لها، لأن غاية المسلم عبادة الله والتقرب إليه سبحانه .

ويمكن تعريف التنمية في الإسلام بأنها " تطور حضاري شامل من خلال تفاعل سوي بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية فيؤدي إلى رفع مستوى حد الكفاية لأفراد المجتمع بشكل تراكمي مستمر.⁴

والتنمية من مهام ومسؤوليات الدولة والأفراد، وهي في النهاية حصيلة نشاط الدولة وأفرادها ومؤسساتها، ومن هنا يأتي دور أهمية مؤسسة الوقف في المساهمة في إحداث التنمية المرغوب فيها في مجالات حياة الأفراد

¹ لسان العرب، ابن منظور، مادة (نمي).....

² المؤسسات الوقفية ودورها في التنمية، سعيد الحسين عبد الرحمن، [ملتقى الشارقة الأول

للمؤسسات الوقفية، أبريل 2002، ص3

³ المؤسسات الوقفية ودورها ... علي أبو البصل ورجب شعبان، [ملتقى الشارقة الأول

للمؤسسات الوقفية، أبريل 2002، ص7

⁴ التنمية في إطار العدل الاجتماعي، عبد الفتاح عبد الرحمن

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تنفيذه..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، ولذا تعتبر الأوقاف ركيزة أساسية
في مجال تنمية المجتمع المسلم، والدليل على ذلك الوقفيات التي بقيت لنا عبر
كل العصور المتعاقبة وما أسهمت به الأوقاف في مجال الخدمات وسد
حاجيات المجتمع الأساسية. ويرتبط مفهوم التنمية عموماً بالأوقاف من كونها
الوعاء الديني للأموال العامة والتي يمكن أن تساهم في رفعة وتقدم الأمم
والشعوب في حالة استثمارها وتطويرها بالصورة المثلى، مما ينعكس على
المجتمعات.

من خلال تعاريف الوقف والتنمية، يمكن أن يكون الوقف مؤسسة فعالة في:

1. نشر الدعوة الإسلامية.
2. تحقيق التكافل والتضامن الاجتماعي بين المسلمين.
3. خدمة دور العبادة والمساجد.
4. نشر العلم في المدارس والجامعات.
5. رعاية الصحة في المشافي والمراكز الصحية لعلاج المرضى وصرف
الدواء لهم.
- مساعدة المعاقين من الصم والبكم والمشوهين ومنكوبي الحرب
والحوادث المدمرة في البلاد.¹
6. إنشاء الملاجئ للأيتام والعجزة الذين لا أسر لهم.
7. إنشاء النزل للمسافرين وعابري السبيل والغرباء المحتاجين.
8. إنشاء المصارف الإسلامية.

¹ الأموال التي يصح وقفها وكيفية صرفها، وهبة الزحيلي، دار المكتبي، ط 1، 1997م، دمشق،

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
وغيرها من المشاريع التي تقدم خدمات جليلة للمجتمع، وتساهم في
القضاء على ظاهرة البطالة التي صارت تشله.

ويمكن أن نلخص هذه النشاطات وغيرها التي يمكن أن تساهم في
أدائها المؤسسة الوقفية في:

- التنمية الدينية - التنمية الاقتصادية - التنمية الاجتماعية - التنمية
التعليمية - التنمية الثقافية - التنمية الصحية

ثالثا : دور الوقف في التنمية:

إن التنمية باعتبارها عملية تطور حضاري تعني مواجهة صريحة
وشاملة لأسباب التخلف وعقباته، ولقد حدد الفكر في النظام الإسلامي مصطلح
العمارة أو التعمير مستخدما في المجال الاقتصادي، فقال تعالى: ﴿ هو أنشأكم
من الأرض واستعمركم فيها ﴾ هود/61. ويقول علماء التفسير في الآية الكريمة:
طلبا للعمارة فالسين والتاء في "استعمركم" للطلب، والطلب المطلق من الله
يكون على سبيل الوجوب.¹

فالتعمير والتنمية واجب على المسلمين كافة، كل حسب طاقته، وما
يسر الله من الأعمال، فمن قصر أو أهمل فهو آثم، فالأمر في الآية بعمارة
الأرض يشمل كل ألوان التعمير بالزراعة والغرس والأبنية وكل ما يهيئ للبشر
أقوم السبل لعمارة الأرض ونشر الخير وإشاعته.²

1/- التنمية الدينية

التنمية المقصودة في الإسلام هي تنمية شاملة ومتوازنة غايتها
الإنسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في أرضه، لا تستهدفه رقي الإنسان ماديا

¹ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص56

² الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي، محمد الدسوقي، ص79

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، ولذا تعتبر الأوقاف ركيزة أساسية في مجال تنمية المجتمع المسلم، والدليل على ذلك الوقفيات التي بقيت لنا عبر كل العصور المتعاقبة وما أسهمت به الأوقاف في مجال الخدمات وسد حاجيات المجتمع الأساسية. ويرتبط مفهوم التنمية عموماً بالأوقاف من كونها الوعاء الديني للأموال العامة والتي يمكن أن تساهم في رفعة وتقدم الأمم والشعوب في حالة استثمارها وتطويرها بالصورة المثلى، مما ينعكس على المجتمعات.

من خلال تعاريف الوقف والتنمية، يمكن أن يكون الوقف مؤسسة فعالة في:

1. نشر الدعوة الإسلامية.
2. تحقيق التكافل والتضامن الاجتماعي بين المسلمين.
3. خدمة دور العبادة والمساجد.
4. نشر العلم في المدارس والجامعات.
5. رعاية الصحة في المشافي والمراكز الصحية لعلاج المرضى وصرف الدواء لهم.
6. مساعدة المعاقين من الصم والبكم والمشوهين ومنكوبي الحرب والحوادث المدمرة في البلاد.¹
7. إنشاء الملاجئ للأيتام والعجزة الذين لا أسر لهم.
8. إنشاء النزل للمسافرين وعابري السبيل والغرباء المحتاجين.
8. إنشاء المصارف الإسلامية.

¹ الأموال التي يصح وقفها وكيفية صرفها، وهبة الزحيلي، دار المكتبي، ط 1، 1997م، دمشق،

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

فحسب، بل كذلك روحيا وبصفة خاصة، والتنمية الدينية يقصد بها تنمية وتطوير الجانب الروحي من حياة الإنسان، ويتم ذلك من خلال تنمية الوازع الديني لدى الفرد، ومؤسسة الوقف لها دور كبير في ذلك، ويتمثل في ما يلي:

أ- تنمية روح الأخوة والعطاء والشعور بالآخرين، خاصة الفقراء والمحتاجين لدى الواقف، لأن الواقف يقطع جزء عزيزا من ماله من أجل أخيه المسلم، وفي هذا تزكية لروح الواقف وتنمية لروح المحبة والعطاء وخاصة في هذا العصر الذي فسدت فيه نفوس كثيرة بسبب سيطرة المال على التفكير والحياة.

ب- بناء المساجد، والمساجد مؤسسات وقفية، غايتها تحقيق العبودية لله في الأرض ولا يخفى دور المساجد في تحقيق التنمية بمعناها الشامل لدى الفرد والجماعة؛ فالمسجد هو المنبر المقدس والقبلة الواحدة ومكان الذكر وملقى الفكر ومجلس العلم وقاعة القضاء ودار الشورى ولواء الجيش، والملقى الذي يرتاده الناس ويرتاح الكل في محرابه ويقود حياة الناس الاجتماعية وتربى في حضنه الأجيال ويخرج منه الشيوخ والأساتذة والأئمة والعلماء، ورهين به التوجيه والتهديب والتفقه وصياغة الشخصية الإسلامية وبلورة الرأي العام، ويعصم الفرد والجماعة من الزيغ والزلل.

ت- إقامة المدارس والمراكز التي تختص بتعليم الأفراد أمور دينهم وربط الواقع بالدين من خلال فهمه وضبطه بأحكام الشريعة.

1- طباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه إلى اللغات الأخرى، وهذا يؤدي إلى سهولة وصول القرآن إلى المسلمين العرب وغيرهم.

2- تحقيق ونشر الكتب الدينية على نفقة المحسنين وتوزيعها على طلبة العلم الشرعي والمتخصصين في علوم الشريعة، وهذا يؤدي إلى حفظ كتب

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
التراث وتسهيل وصولها إلى طلبة العلم والمتخصصين مما يؤدي إلى توحيد
الخطاب الإسلامي وربطه بثوابت الشريعة ومسلماتها.

3- إنشاء مؤسسات خاصة بالدعوة إلى الله تابعة لمؤسسة الأوقاف، تهتم
بتأهيل الدعاة علمياً وفنياً، لأن الدعوة إلى الله فن يحتاج إلى المؤهلين بعلوم
الشريعة وما يقتضيه العصر من تحديات. ومؤسسة الدعوة تدعم وتمول من
مؤسسات الأوقاف الإسلامية.

4- مؤسسة تدريب وتأهيل الأئمة: تقوم هذه المؤسسة بإعداد الدورات
طويلة ومتوسطة وقصيرة الأجل حسب احتياجات المجموعات المختلفة على
أن تهيئ هذه المؤسسة المعلم المؤهل والسكن المريح والمكتبة المناسبة.

5- إنشاء قنوات ومحطات إذاعة القرآن الكريم: وتقوم هذه المؤسسة ببث
القرآن الكريم ونشر علومه على مدار الساعة وذلك على امتداد الأقطار
الإسلامية.

2/- التنمية الاجتماعية:

إن الإسلام جعل نظام التكافل الاجتماعي مبدأ سامياً في هذا الدين
الحنيف، وطريقاً يتسابق إليه كل من أراد التقرب إلى الله، ونيل رضوانه. ومظهر
التكافل الاجتماعي هو في جوهره ومقصده الديني تكريم الإنسان لكونه يسمو
به إلى مدارج المثال الأخلاقي والسلوكي والإنساني الذي خلق من أجله، فلا
ضعة ولا سؤال ولا مهانة كما أنه يخلق في الوسط الاجتماعي الأمن والمحبة
ويزيل الضغائن والأحقاد بين الأغنياء والفقراء والحكام والمحكومين .

ومن هنا كان لمؤسسة الوقف دور فعال في ترسيخ هذه القيم والمفاهيم،
وقد برزت أوقاف عديدة ومتخصصة جداً تبين مدى ما بلغت الحضارة
الإسلامية من رقي تحار منه العقول، فما سمعنا بعبارة لمؤسسة اجتماعية في

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

عصرنا الحاضر إلا وجدنا أمتنا سبقت لهذا المجال، وتلخصت هذه المؤسسة في مراكز ومؤسسات الرعاية والعناية الاجتماعية التالية:

1- مساعدة الفقراء والمستضعفين في المناسبات الدينية والوطنية؛ ورعاية المساكين والبرّ بهم، فمثلا تعمل وزارة الأوقاف المصرية على توزيع مرتبات شهرية للمحتاجين وعلى رعاية أفراد أسر الواقفين الذين يثبت احتياجهم.

2- مؤسسات رعاية اليتامى: قامت هذه المؤسسات وتخصصت في رعاية النزلاء من الأيتام ووفرت لهم السكن المريح والإقامة والختان والتغذية وتوفير الملابس والتعليم والرعاية الطبية حتى يبلغوا مقام المسؤولية ويخرجوا رجالا ونساء صالحين لبناء المجتمع المسلم.

3- مؤسسات رعاية وتأهيل الفقراء والمساكين: وهذه من أوسع المجالات، حيث تقوم هذه المؤسسات بالدور الرائد في إسكان وإيواء العميان والمقعدين والعجزة وتقديم العلاج لهم والإشراف عليهم وكفالتهم حتى آخر أعمارهم.

4- المؤسسات الوقفية للصغار والعناية بالأمهات: وهذا مجال أبدعت فيه الأوقاف وتجلت فيه أفكار وأفعال أمة فريدة وصل بها الرقي أن تنشئ أوقافا تمد الأمهات بالحليب والسكر، وخير مثال على ذلك الميزابان اللذان أوقفهما الشهيد صلاح الدين الأيوبي على باب حي مطران القلعة، حيث يوضع في أحدهما لبن سائل وفي الأخرى عصائر مختلفة تتردد الأمهات عليهما كل أسبوع مرتين لتأخذ منهما حاجتهن وحاجة أطفالهن.

5- مؤسسات تزويج الشباب والفتيات والأيامى: وتختص هذه المؤسسات بتقديم تسهيلات تعين الشباب من الجنسين على الزواج وتقديم إعانات ظرفية ومساكن تعينهم في بداية حياتهم.

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

- 6- مؤسسات دور الإصلاح (السجون): أيضا هذه المؤسسات تحمل معها ما تمتلكه الشريعة من وسائل الإصلاح والتهديب والمعالجة النفسية للأخذ بأيدي هؤلاء الذين انحرفوا وجانبوا الطريق، وتقوم هذه المؤسسات برعاية المساجين وتأمين حاجاتهم الغذائية وحاجاتهم الصحية.
- 7- توفير فرص العمل للفقراء، وهذا يقلل من نسبة البطالة، والتي يعاني منها الفقراء بشكل أساسي، لأن المطلوب من مؤسسة الأوقاف أن تقوم بمشاريع تنمية استثمارية يعمل فيها الفقراء ويعود ريعها عليهم.
- 8- استثمار الأراضي الموقوفة في مشروعات الإسكان، لتوفير السكن المناسب للفقراء.
- 9- تأمين فرص أداء فريضة الحج للفقراء مجانا وعلى نفقة مؤسسة الأوقاف.
- 10- قضاء ديون المعسرين والمسجونين.
- 11- تحضير طعام الفطور والسحور للفقراء وأبناء السبيل.
- 12- وقف الأراضي لتجعل مقابر لأموات المسلمين بالإضافة إلى تجهيز موتى المسلمين وبخاصة الفقراء والغرباء.
- 13- إنشاء أوقاف الرفاهية: هذه المؤسسات تعكس ما بلغ من تطور إنساني رفيع، ويحكي التاريخ العريق في هذا المجال وقف الزبادي وفكرته، هو أنه قامت مؤسسة وقفية يأتي إليها الطفل الذي يكسر الزبادي (لبن المنزل)، فبدلا من أن يذهب للبيت مكسوبا فيقف ويعاقب، يأتي لهذه المؤسسة فيأخذ كيس زبادي بديل ويرجع به للمنزل رافة به فلا يعرف أهل البيت الأمر، وأيضا "وقف مؤنس العليل"، وهذه المؤسسة قامت لترعى أحوال المريض النفسية بالأصوات الجميلة والحكم الإنسانية والفكاهة والطرافة. وتجاوز المسلمون الحاجات الضرورية إلى الحاجات الكمالية، وعرف من الأوقاف في الشام وقف خاص

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تنفيذه..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
لشراء الفستق لطلبة العلم، ووقفوا الحلي للبس والاستعارة، كما فعلت السيدة
حفصة رضي الله عنها.¹

14- مؤسسات الأوقاف للرفق بالحيوان: وتجاوز المسلمون حاجات
الناس إلى حاجات الدواب والحيوان، فوقفوا أوقافا لها، وهذا لون آخر من
ألوان الأبعاد الاجتماعية والبيئية للأوقاف، يعبر عن مستوى النهضة والرفقي التي
وصلتها أمتنا عبر التاريخ، فقد بلغ سمو المجتمع ومبادرته أن تجاوز عالم
الإنسان بأوقاف تغطي الرفق بالحيوان وهذه علاقة دينية في المقام الأول كما
جاء في حديث رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام: "في كل كبد رطبة أجر"²،
وهي أيضا دلالة على الاكتفاء والوفرة في آن واحد. وفي هذا الإطار، قامت
مؤسسات وقفية لعلاج الحيوان المريض ووقفت بساتين وحدائق للخيل
العاجزة والتي أطلقها أهلها لعدم جدوى الإنفاق عليها، وسمي هذا الوقف بـ
(مرج الخيول) بدمشق، وقد تم تعيين من يخدمها وينظفها ويعالجها وكل ذلك
على حساب الأوقاف، وقد حفظ التاريخ لوائح ونظم وتوجيهات أصدرها حكام
وأمرأء الدول الإسلامية لتحديد قدر الثقل على البغل والحمار والفرس وعدم
تحميلها فوق طاقتها.

3/- التنمية الصحية:

وتجلى دور الأوقاف في ميدان الصحة في بناء المستشفيات والعناية
بالمريض مثل العناية بالجذمي الذين بنيت لهم حارات خاصة مع الإنفاق على
علاجهم، كما ساهمت الأوقاف في توفير العلاج المناسب للفقراء والمحتاجين،

¹ الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية، أحمد كفتارو، [حوار أجرته معه جريدة المستقلة
اللندنية، دمشق/1998م، على موقع جامع أبو النور]. www.abunour.net

² أخرجه مسلم في كتاب السلام باب فضل سقي البهائم، م 3، ص 197.

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
ويجب أن نسجل الجهود الوقفية في إقامة الكليات الطبية وبناء المراكز للعناية
بالمرضى والمعاقين

ومقاومة الأمراض السارية وتخريج الأطباء الأفاضل، فقد كانت تقدم إلى
تلك المستشفيات كل ما تحتاجه من غذاء وكساء ودواء ورواتب للأطباء
والمرضى، ففي مستشفى المنصور بالقاهرة كان الغذاء يحتوي على الخضار
ولحوم الضأن والبقرة والطيور، وكانت علامة شفاء المريض أن يقدر على أكل
رغيف كامل ودجاجة كاملة في الوجبة الواحدة، وعند خروجه من المستشفى
يعطى ثوبا ومبلغا من المال. وقد أقامت الأوقاف مصحات للمجانين ومأوى
للعجزة ودورا لعلاج البهائم والحيوانات، كما أقامت الأوقاف مستشفيات متنقلة
وسيارة منها بيمارستان السلطان محمود السلجوقي {ببمارستان أو مارستان لفظ
كان يطلق على المستشفيات وهو لفظ فارسي يعني دار المريض} الذي كان
يحمل على أربعين جملا، وبيمارستان شمس الدين نظام الملك كان يحمل على
مائتي جمل وكانت معظم مصروفاته من أموال الوقف. ومن أشهر المستشفيات
المستشفى العضدي والمستشفى النووي بدمشق، وقد درس في تلك
المستشفيات طلبة الطب ودرس فيها ابن سينا والرازي والزهراوي وغيرهم¹

4/- التنمية الاقتصادية :

ما دام الوقف يقوم على أساس حبس الأصل وتسبيل الثمرة فإنه
يسهم بذلك في التنمية الاقتصادية إسهاما كبيرا حيث تبقى الأصول الثابتة
المنتجة مع رعايتها وصيانتها وتعميرها، وتوليد عوائد منها تغطي النفقات
الجارية للمؤسسات الخيرية التي حبست عليها بالإضافة إلى أن الوقف يحمي
المنشآت والمؤسسات التي وقف عليها من أن تعطل وتهدر، إن للوقف دورا

¹ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1981م،

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تنفيذه..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

آخر في التنمية الاقتصادية تمثل في ضبط الأسعار واستقرارها ذلك لأن الأسواق التي حبست عليها الأموال لإصلاحها، كانت تيسر للتجار الحصول على إيجارات مخفضة للمحال التجارية، وهذا ساعد على أن تكون أسعار السلع أدنى من مثيلاتها في الأسواق التي لا وقف لها، فكان الإقبال أكثر على الشراء من الأسواق الموقوفة لرخص السلع واستقرار الأسعار، وأدى ذلك إلى نشاط الحركة التجارية في هذه الأسواق مما دفع غيرها إلى أن تسلك سبيلها في ضبط الأسعار.

والمقصود بالتنمية الاقتصادية هو مجموعة من الأعمال التي يقصد بها تدعيم الصناعة أو الزراعة أو التجارة، فمن أموال الوقف يمكن تقديم الدعم لتلك الأنشطة الهامة بما يعينها على تحقيق الخير للمجتمع، وتعتبر تنمية واستثمار الأموال الموقوفة هدفاً ووسيلة في وقت واحد فهي هدف لأننا نريد أن نكون المجتمع من القيام

بحاجاته دون اعتماد على الدولة؛ وقيامها بحاجاته يحتاج إلى المال وتحقيق المال يأتي من جهتين: الأولى تنمية المال الموجود والثانية: استقطاب مالي جديد، وهي وسيلة من وسائل جمع المال الوقفي وتحقيق الوظيفة الاجتماعية نشر الدعوة وإشباعاً لحاجة المساكين .

ويقوم اعتماد الوقف على الجهد الفردي والشعبي، ونجد حتى الدول الغير مسلمة اعتمدت أسلوب الوقف في تنمية مجتمعاتها وذلك راجع إلى انكماش الرعاية الاجتماعية لدى الدولة بعد أن سلبتها العولمة سلطة القرار على السياسات النقدية والمالية مما يقلل من دور الدولة في تلبية احتياجات الفئات الأقل حظاً.

فللوقف أثر من الناحية المالية للدولة من حيث الإيرادات والنفقات التي تخفف العبء المالي والمسؤوليات الاجتماعية الملقاة على عاتق الدول في

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة حمد بوشعالة
الإنفاق العام على النواحي الاجتماعية ومشروعاتها سواء في قطاع التعليم،
الصحة، محاربة الفقر أو من ناحية مشروعات البنية الاقتصادية من مرافق
وأشغال عامة.¹

كما أن للوقف أثرا واضحا في تحقيق مفهوم التشغيل، وذلك من خلال
مساهمته في تنمية رأس المال البشري والاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية
المتاحة للحد من البطالة وتشغيل العاملين وإتاحة فرص العمل، ودعم صناعات
عدة . ويمكن أن نلخص إسهامات الوقف في التنمية الاقتصادية بالطرق التالية:
1- توفير مناصب شغل للأئمة والوعاظ والمرشدين والقائمين على صيانة
المساجد، وأخرى للزراعة والصناع والتجار وغيرهم.
2- استغلال أموال الوقف في بناء المساكن الاجتماعية التي استفاد منها
عدد كبير من ذوي الدخل المحدود.

3- تقوم الأوقاف الإسلامية ببناء المدارس والمكتبات والأربطة
والمستشفيات ودور الرعاية الصحية وفكاك الأسرى وتجهيز الموتى ومعالجة
المرضى من الإنسان والحيوان.²
وهذه النفقات الوقفية أدت إلى التوسعة الاقتصادية على كثير من
العائلات والأسر لأنها وفرت عليهم تلك النفقات وقامت بما يسمى بالضمان
الاجتماعي، ولهذا كانت الأوقاف بمثابة وزارة أوقاف ووزارة صحة ووزارة
شؤون إجتماعية ووزارة اقتصاد ووزارة تربية.

¹ المؤسسات الوقفية ودورها في التنمية الاقتصادية، خالد بن عبد الله العبد اللطيف وسعد بن
صالح اليحيى ص 3.2

² الوقف وأثره في الناحية الاجتماعية والفكرية، سعد الدين صالح ص 6.

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تنغيمه.....أ. فتيحة محمد بوشعالة

4- أن الوقف أشبه ما يكون بشركة اقتصادية استثمارية كبرى استطاعت تجميع الأموال الصغيرة في مشروع اقتصادي كبر، فمثلا أوقاف مصر الزراعية بلغت سبعمائة ألف فدان، وهي تساوي 15% من

أراضي مصر ، وأوقاف العقارات في مدينة الجزائر بلغت ثمانية عشر ألفا، وأوقاف مدينة سرايفو بلغت ثلاثمائة وثلاثين وقفا وأوقاف تركية بلغت مليوني وقفا لم يبق منها اليوم إلا نصف مليون وقفا.¹

5- يقول رجال التربية: إن التعليم ذو عائد اقتصادي، فوزارة التربية تنفق على التعليم في الظاهر وتعد من الوزارات الاستهلاكية ولكنها في الحقيقة وزارة إنتاجية لأنها تمدنا بالطبيب والمهندس والصيدلاني والمحاسب والمدرس وهذه طاقات إنتاجية كبرى على المستوى البعيد للدولة لأنها حضارة الإنتاج والصناعة والتأليف.²

وإذا علمنا أن الأوقاف الإسلامية كانت تقوم على إنشاء المدارس والجامعات والمستشفيات التي أنتجت أجيال العلماء من مختلف التخصصات علمنا أن الوقف ساهم في بناء التنمية الاقتصادية عن طريق استثمار الإنسان.

6- يسهم الوقف الإسلامي في الاستقرار الاقتصادي وحفظ السوق من التضخم وتغلب الأسعار أو ارتفاعها، وقد أشرنا إلى ذلك في السابق.

7- كان لبعض الخدمات الوقفية خلق بيئة اقتصادية جديدة فمن المعلوم أن الأوقاف اهتمت اهتمام بالغاً بإنشاء المساقى والأحواض والآبار المائية على سكك المسافرين والحجاج وأقامت مثل ذلك بين المدن والقرى النائية، مما أدى إلى تحويل تلك المحطات مع مرور الزمن إلى أسواق تجارية جلبت إليها

¹ الوقف الإسلامي، أحمد علي محمود، ص 207

² إقتصاديات التعليم، اسماعيل علي.

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
التجار، السلع والبضائع، ثم تحولت مع الأيام إلى قرى أو مدن تجارية، أو
عدت أسواقا تجارية وأرزاقا إلى الأهالي.¹

8- تحقيق الائتمان وتداول الثروة ومعالجة الفقر، فمن المعلوم أن الوقف
يقوم بصرف كثير من المال إلى الفقراء والأيتام والأرامل والمطلقات والمعاقين
وغيرهم من المحتاجين، وهذا الصرف الوقفي يعزز حركة السوق التجارية لأن
هذه الطبقة تصبح مالكة للأموال، يحفزهم ذلك على شراء حاجاتهم المتنوعة،
وتداول الثروة حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء. كما يحقق الوقف الائتمان
فإن التاجر عندما يعلم أن هذا الفقير أو اليتيم له دخل من الوقف أو الزكاة فإنه
يبيعهم حاجاتهم بالدين وهو مطمئن إلى سدادهم له.

9- ساهمت الأموال الوقفية في إقامة المشاريع الاقتصادية العملاقة
الثابتة، وقد تجلّى هذا في إنشاء المصارف الإسلامية وبناء اقتصادي معاصر
وتحريره من الربا، علما أن بعض وزارات الأوقاف تستثمر أموالها
في هذه البنوك، وأن ميراث الأيتام القصر يودع بالاستثمار في تلك البنوك
وأن رؤوس أموال الهيئات والجمعيات الخيرية لها حسابات في تلك البنوك مما
يوفر لها الإستمرار في ساحة التمويل الاقتصادي.

5/- التنمية التعليمية والثقافية:

إن أهم شيء يميز الأمة الإسلامية أنها أمة العلم لأن دينها الحنيف
حثها على طلب العلم والسعي إلى المعرفة في جميع مراحل حياة الفرد، وكانت
المساجد مراكز للعلم في تاريخ الحضارة الإسلامية، يدرس فيها القرآن والسنة
والعلوم الشرعية واللغوية التي تعين على فهم كتاب الله وسنة رسوله، وحتى
العلوم العقلية والتجريبية من رياضيات ومنطق وفلسفة، وطب وكيمياء، وبذلك

¹مجلة منار الإسلام، عدد 10، سنة 1422 هـ، ص 45

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

كان المسجد أول مدرسة وجامعة ومؤسسة علمية، ومن هنا كان إقبال المسلمين على وقف مداخلهم ممتلكاتهم لبناء المساجد والإنفاق على صيانتها وعلى شيوخ العلم وطلبتها، حيث اعتبر الوقف على العلم والعلماء ودور العلم من أعظم القربات إلى الله تعالى، وإلى جانب بناء المساجد حبس كثير من الصالحين أموالهم لإنشاء المعاهد والمدارس وتكفلوا في تلك المدارس والمعاهد بمساكن الطلبة وكسوتهم وغذائهم وإجراء راتب شهري لهم كما وفروا للأساتذة والعلماء جناية وقفية خاصة بهم حتى يبقى العلماء بعيدين في أرزاقهم عن الحكام، مما أعطاهم استقلالية وعزة. ويمكن أن نلخص دور الوقف في التنمية العلمية والثقافية فيما يلي:

1-المساجد: كانت المساجد بمثابة المدارس الأولى التي يلقي فيها الناس علوم الشريعة المختلفة، وزودت هذه المساجد بخزانات من الكتب الوقفية حيث كان كثير من العلماء يوصي قبيل وفاته بوقف كتبه على المساجد، ومن أشهر تلك المساجد مسجد البصرة، مسجد الكوفة، مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط وجامع القرويين الذي بنته المرأة الفاضلة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني، وكان في مدينة فاس بالمغرب.

2-المدارس: أما المدارس فقد بدأ إنشاؤها بعد أن استقرت حركة الفتوحات الإسلامية نسبيا وبعد أن تضاعف إقبال طلاب العلم على حلقات المساجد وأخذ التخصص العلمي الدقيق يظهر بين الدارسين والباحثين، فكثر المدارس التي كان الوقف من وراء إنشائها كثرة هائلة، ويكفي برهانا على ذلك ما بني في دمشق حتى أن الإمام الزاهد الورع النووي لم يكن يأكل من فواكه دمشق طيلة حياته لأن أكثر غوطاتها وبساتينها أوقاف.¹

¹ الوقف ودوره في التنمية، محمد عبد المجيد زيدان

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تنفيذه..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

ومن أشهر مدارس الوقف دار القرآن الخضرية ودار القرآن الجزرية، ودار القرآن الدلامية، ودار القرآن الصابونية وكلها بدمشق، ومن أشهر مدارس الحديث النبوي الشريف: دار الحديث الإشرافية، ودار الحديث الحمصية، ومنها أيضا المدرسة اليوسفية بمراكش التي بناها الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين من أموال الوقف، حيث كان يتعلم فيها الطلبة العلوم الشرعية والأدبية واللغوية والهندسة والطب. كما أنشأ يوسف بن تاشفين في مدينة فاس مدرسة الصابرين سنة 462 هـ، حيث كانت بالإضافة إلى دورها الديني والعلمي تقوم بإيواء الطلبة وتقديم الخدمات الضرورية من مال الوقف ليستمروا في طلب العلم، ومنها أيضا مدرسة العطارين التي بناها أبو سعيد المريني والمدرسة المصباحية التي أسسها أبو الحسن المريني¹، وفي مصر تم إنشاء مدارس وقفية منها المدرسة القاضية بناها القاضي الفاضل البيساني وأوقفها على فقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعدة للإقراء قرأ فيها الإمام أبو محمد الشاطبي صاحب نظم الشاطبية، ووقف لهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب بلغت مائة ألف مجلد، والمدرسة الأزكشية بناها الأمير سيف الدين الأسري، مملوك أسد الدين شيركوه، وقفها على فقهاء الحنفية، والمدرسة الحجازية أنشأتها السيدة الجليلة خوندتر، الحجازي ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وجعلت عليها أوقافا وخزانة كتب وجعلتها للشافعية².

وفي بغداد أنشأ نظام الملك المدرسة النظامية، وأنشأ الخليفة المأمون دار العلم أو دار الحكمة وزودها بمرصد فلكي ومكتبة عامة. وغيرها من النماذج.

¹ الوقف الخيري في المغرب قديما وحديثا، محمد الحجوي، مجلة أوقاف، السنة الثالثة،

العدد الرابع 2003

² المؤسسات الوقفية ودورها في التنمية، علي أبو البصل، ص 17

3-الجامعات :يعد جامع الأزهر الشريف أول جامعة ومسجد أنشئ من مال الوقف وتوالى بعد ذلك صرف الأموال الوقفية على بناء الجامعات مثل جامعة قرطبة في الأندلس، وجامعة الزيتونة في تونس، وجامعة القرويين في المغرب، وكانت تلك الجامعات تعج بطلبة العلم من مختلف الأمصار والجهات، ويعود الفضل إلى الوقف الإسلامي في النهضة العلمية التي خرجت العلماء وفي تصنيف التأليف العديدة والفريدة.

4-المكتبات :كانت العناية بالكتب والمخطوطات ونسخها عملا جليلا حتى قيل أن بعض الخلفاء كان يعطي المؤلف وزن مصنفه ذهابا، وقد تقدم أن كل مدرسة أو مسجد أو جامعة كانت تزود بخزانة كتب عظيمة، حيث أدرك كل الواقفين للمدارس وزوايا العلم وحلقات الدرس أهمية الكتاب في العملية التعليمية وأن الاقتصار على تشييد الأبنية وتوفير جهاز التدريس غير كاف فاهتموا بوقف الكتب عليها لتكون وسيلة ميسرة للتحصيل والمراجعة، وخير مثال للوقف على المكتبات: مؤسسة علمية كان لها أثر في تاريخ الفكر الإسلامي هي بيت الحكمة ببغداد، وكان من أقسامها مكتبة حظيت بعناية مجموعة من خلفاء بني العباس، وخاصة المأمون، وكانت هذه المكتبات تمتد الغرباء والفقراء من مرتاديها بالمال والمأوى، حيث قال ابن جبير في رحلته إلى مصر بعد أن اطلع على أحوال مكتباتها ودور العلم فيها وعاش في البعض منها واستفاد من أموالها الموقوفة: "ومن مناقب هذا البلد ومفاخره (مصر) أن الأماكن في هذه المكتبات قد خصصت لأهل العلم فيهم، فهم يعتبرون من أقطار نائية فيلقى كل واحد منهم مأوى ومالا يصلح أحواله به"¹.

وفي حاضرتنا تلعب الأوقاف دورا بارزا في دعم المؤسسات التعليمية، وهناك جهود مبذولة لإنشاء مكتبة مركزية تتبعها مكتبات فرعية لتؤدي الرسالة

¹ محمد عبد المجيد زيدان، مرجع سابق، ص42

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تنغيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
التعليمية، إلى جانب إنشاء المراكز الحديثة للعناية بترميم الموروثات العلمية،
من مراجع وكتب ومخطوطات وجمع المتناثر منها في مكتبات ودور النشر
بالدول الغربية خاصة.

رابعاً: أسباب انحسار الوقف في واقعنا

لقد تبوأ الوقف مكانة مرموقة في حياة المسلمين على مختلف
عصورهم، حيث تكاثرت أبواب البر وانتشرت الأوقاف في المجتمعات
الإسلامية انتشاراً واسعاً منذ عصر الرسالة، والعجيب أن العالم الإسلامي اليوم
قد عطل أو غيب مؤسسة الوقف عن دورها الكبير في خدمة المجتمع وتحقيق
المصلحة العامة لأفراده، وكان هذا سبباً من أسباب تخلف المجتمع الإسلامي
المعاصر وتدهوره، بينما أخذ العالم المتقدم اليوم في أوروبا وأمريكا سواء كان
ذلك بتخطيط أو بتلقائية بنظام الوقف مما أسهم في تقدمه¹.

وبرغم ما قام به الوقف في الماضي من إسهامات بارزة في حياة
المجتمع الإسلامي، وبرغم الحاجة الملحة حالياً لقيام الوقف بدوره في النهضة،
فإن واقعه الآن ينبئ عن ضعف وتدهور وانزواء لدوره، وفي الحقيقة فإن واقع
الوقف لا ينفصل عن واقع المسلمين عموماً، فليس الوقف وحده هو الذي
تجمد دوره في سلوك المسلمين فالدعوة والمعرفة والتعليم والوحدة كلها
مسائل نحتاج إليها لتحقيق نهضتنا.

ولعل أكثر الأدوار تغييباً في رسالة الوقف هي مسألة نشر الدعوة
الإسلامية، فقد اقتصر إنفاق الوقف على رجال الشعائر الدينية من أئمة وخطباء،
ومع أن أجورهم ضئيلة فإنهم أيضاً يؤدون دوراً محدوداً في الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر. أما الدعوة في الآفاق وتخير أفضل الدعاة وإرسالهم إلى

¹ الوقف: السبيل إلى إصلاحه وصولاً إلى تفعيل دوره، أحمد عوف، محمد عبد الرحمن،

ص76، عن مجلة أوقاف، السنة الخامسة، العدد 9، 2005م

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تنفيذه..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

البلاد المختلفة في الشرق والغرب لنشر الإسلام، فهذا لم يتحقق منه ما يكفي بعد، إننا لا نستطيع أن نغزو العالم بالجيوش، ولكننا نملك أن نغزوه بالدعاة ونحمل أفكار الخلاص التي يقدمها الإسلام للأجيال.¹

وظاهرة تدهور الأوقاف في عالمنا المعاصر لا تحتاج إلى حجة أو

برهان، فالمؤشرات عليها كثيرة منها:

1. حجم الأموال الموقوفة ونسبتها إلى الثروة القومية.

2. معدل نموها السنوي.

3. مقدار العوائد والمدخيل.

ولا يتعارض ذلك مع ما نشاهده من نمو وازدهار للوقف في دول

إسلامية قليلة، كما في الأردن والكويت.

ويمكننا أن نجمل عوامل انحسار الوقف فيما يلي:

- عبث يد الاستعمار بالأموال الوقفية وبوثائقها مما أدى إلى اندثار كثير من الأوقاف، وفي هذا يقول الدكتور عمر محمود شعلال، رئيس اتحاد الزوايا في الجزائر: "إن الوثائق التاريخية تثبت أن 60 % من الأملاك كانت تابعة للزوايا قبل الاستعمار، ونحن نملك الأدلة والوثائق التي تثبت ذلك وتأتينا العشرات من الرسائل من طرق الزوايا التي تريد استرجاع أملاكها والمتمثلة في أراض ومحلات تجارية ومنازل وبعضها".²

1- الضبابية المعرفية للبعد الفقهي للوقف عند غالبية الناس، فلقد شاع

لديهم العديد من التصورات المتعلقة بفقہ الوقف، وهي في حقيقتها غير

¹ الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية، حوار أجرته جريدة المستقلة اللندنية عام 1998م مع

سماحة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية السورية، عن موقع جامع أبو النور

² عن جريدة الشروق، 09 - 03 - 2006

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
صحيحة فقها، وقد ساهم ذلك بقوة في انزواء الوقف وتدني دوره، حيث حالت
هذه الضبابية الفقهية دون إقدام العديد من الأفراد على الوقف، فالناس لديهم
استعداد لأن يساهموا في أعمال الخير كلما أصبحت لديهم المعلومة الكافية
والفهم الجيد لجدوى الإسهام.

2- تدخل الدول في شئون الأوقاف، بينما كانت في الماضي المؤسسات
الوقفية تتمتع بالاستقلالية التامة في إدارة شئونها. وكان من آثار هذا التدخل
انكماش في الموارد المالية اللازمة لتنفيذ شروط الواقفين، مما أدى إلى عدم
الالتزام بشروطهم وتغيير مصارف الأوقاف أو تقييدها، وبذلك حرمت جهات
من حقوقها، وتعطلت بذلك رسالة الوقف.

3- لم تكتف كثير من الدول بإلغاء الوقف بنوعيه (الأهلي والخيري)
والتدخل للسيطرة على الأوقاف وإدارتها، وإنما سعت للاستيلاء على الأوقاف
الخيرية كلها وإدماجها في أملاك الدولة. وامتدت بعض الحكومات إلى الأوقاف
الأهلية فاستولت عليها، بعد أن ضاقت ذرعا بقيام مؤسسات الوقف بدور فعال
في صياغة المجتمع. والأدهى أن يأخذ هذا الاستيلاء الطابع القانوني¹.

4- كذلك كان لبعض الأفراد الذين ضعف لديهم الوازع الديني دور
واضح في هذا الإجهاز على الأوقاف، لأنهم اغتصبوا الكثير من الأعيان
الموقوفة بوسائلهم غير المشروعة للتعدي والاعتصاب، فهم يضعون أيديهم
على أوقاف يعرفون أن حججها قد فقدت أو سُرقت، وليس لدى الجهات
المسؤولة عنها ما يثبت أنها أوقاف. وأحيانا يكون تغيير مسميات ومعالم الأماكن
الواردة في حجج بعض الأوقاف فرصة ذهبية للاغتصاب.

¹ الوقف: السبيل إلى إصلاحه وصولا إلى تفعيل...، أحمد عوف عبد الرحمن، مجلة أوقاف،
السنة الخامسة، نوفمبر 2005م، ص 80

5- عدم وجود صيغ وأساليب عصرية لقيام عملية الوقف، من حيث الإدارة والاستثمار والصيانة وغير ذلك، أو عدم وجود علم بها ودراية من قبل جماهير الناس، مع أن الواقع المعاصر في حاجة ماسة إلى صور وأساليب عصرية ملائمة له، حتى يقدم الناس بفعالية على هذا العمل الخيري.

6- عندما امتد نفوذ الدولة لتشمل كل المرافق والمؤسسات، استقر في نفوس الناس أن ساحات العمل الخيري تولتها الدولة، فهي التي تشرف على المساجد وتقيم المستشفيات وتفتح المدارس والمعاهد والجامعات، وغيرها من مجالات العمل لصالح المجتمع، فلم تعد هناك حاجة للوقف، ولذا تعطلت تلك السنة الحميدة، وانصرف الناس عنها.

7- وجود فجوة في قنوات الاتصال بين الهيئات القائمة على شؤون الأوقاف في الدول الإسلامية للاستفادة من تبادل الخبرات وتوثيق روابط التعاون الفني فيما بينها، كذلك ضعف الكفاءات الإدارية والقدرة على التخطيط والتنفيذ لدى الأجهزة المختصة بتنمية الأوقاف وتعزيز دورها.

هذه العوامل أعاقَت مسيرة الوقف في الوقت الحاضر، وأثرت في دوره التنموي، وكادت تجعل الناس ينسون تاريخ تلك المسيرة، وما نهضت به من مسؤوليات جسام، كفلت للأمة الإسلامية في كل عصورها الترابط والاتحاد وحققت لها ما حققت من النهضة والحضارة، فما السبيل إلى إعادة بعث فكرة الوقف في الأمة؟

خامسا: السبيل إلى تفعيل المؤسسة الوقفية:

بالرغم مما آل إليه حال الوقف ودوره من اضمحلال في عصرنا الحاضر إلا أن هناك جهودا معتبرة تسعى إلى بعثه من جديد، حيث عاد الحديث عن مؤسسة الوقف وبدأ البحث العلمي والأكاديمي حول تاريخه ودوره الاجتماعي والعلمي التربوي في الحضارة الإسلامية، وعن الطرق والأساليب

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تنفيذه..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

التي تجعله قادرا على أداء مثل هذا الدور الإيجابي من جديد في التنمية الاجتماعية التي تشهدها المجتمعات الإسلامية المعاصرة. وفي العقدين الأخيرين من القرن العشرين الميلادي تزايد اهتمام المفكرين والباحثين بموضوع تطوير نظام الوقف وآفاق عمله وشارك في هذا الاهتمام بعض المراكز والمؤسسات العلمية والمالية، ورغم تلك الجهود الكبيرة التي تبذلها مؤسسات ومنظمات العمل الخيري ومؤسسات الوقف الإسلامي، فإن سلسلة الوقف ما زالت بحاجة إلى حلقات أقوى تماسكا، وبخاصة على المستوى الدولي الذي يشهد ازدهارا بالمؤسسات الدولية الأخرى التي تغلغل في المجتمعات العربية وفق أهداف وبرامج متخصصة. إن السبيل للخروج من تلك الدائرة الخائقة لأداء دور الوقف كرسالة تنمية يتطلب بناء إستراتيجية واضحة المعالم تكفل إحياء سنة الوقف والنهوض به. والغرض من بناء هذه الإستراتيجية هو وضع الإطار والصيغ التي تدور في نطاقها الأنشطة الوقفية إلى جانب تحديد الوسائل والآليات الموصلة لتحقيق ذلك وترجمتها إلى المناشط الحياتية المختلفة¹، وهذا الدور التاريخي والحضاري يمكن أن يتجدد إذا تضافرت جهود كثير من الجهات من علماء ومفكرين وإعلاميين وحكومات ووفرت أسباب تفعيل سنة الوقف ودوره، ويمكن أن نجمل هذه الأسباب فيما يلي:

1- وجود ثقافة ومعرفة ووقفية جيدة: خاصة لدى القادرين من جمهرة الناس، ولدى المسؤولين في الدولة، بحيث يكون لدى الجميع إدراك واسع بأهمية الوقف، وهذا دور العلماء والدعاة والمفكرين ومراكز البحث والإعلام في نشر الدعوة إلى الوقف وبعث الوعي بين الناس بكافة وسائل الإقناع اللازمة بالحكمة والموعظة الحسنة، ذلك أن معظم المسلمين عامتهم وخاصتهم يجهلون إلى حد كبير مكانة الوقف في الإسلام أو في النظام الاجتماعي

¹ الوقف: السبيل إلى إصلاحه، مرجع سابق، ص 90

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
الإسلامي، ويجهلون الأدوار الفعلية للوقف عبر التاريخ. ويكون ذلك بإنجاز
مزيد من الدراسات والأبحاث العلمية التأصيلية حول الوقف ورسائله وأحكامه
وترويجها وتعميمها أكثر ما يمكن.

2- وجود نظام تشريعي جديد: نظام يحترم الأحكام الشرعية للوقف،
وكذلك رغبات الواقفين، وما دام فقه الوقف يقوم على الاجتهاد، فعلى العاملين
في مجال الاقتصاد والخبراء في هذا الميدان أن يتعاونوا مع المجتهدين من
علماء الأمة الإسلامية في النظر إلى مستجدات الحياة وكيفية تفعيل الأوقاف
مع حركة الاقتصاد، بما يفيد الأمة في حاضرها ومستقبلها وإحداث مراجعة
فقهية لأحكام وشروط الوقف بما يلائم هذا الواقع.

3- وجود إدارة كفؤة للأوقاف: الوقف ليس تبرعا عاديا، نقدا كان أو أعيانا،
ولكنه حسب التعبير الفقهي صدقة جارية، هو حبس للأصل ورصد للريع لجهة
من جهات الخير، فهو نظام تبرع وإدارة في الوقت ذاته¹.

ونظرا لغلبة الدور الذي يساهم به الأفراد في عملية الأوقاف،
فإنه ينبغي أن يكون للوقف الدور الفاعل في إدارة شئون الوقف وتوجيه أنشطته
وتحديد مصارفه في إطار المقاصد الشرعية والمصلحة العامة للمجتمع. وينبغي
على الجهة المعنية بشئون الأوقاف الارتقاء بالعنصر البشري القائم على تسيير
شئون الوقف وإدارة مرافقه بواسطة تعليمهم حقيقة ومقاصد الوقف الإسلامي
وتزويدهم بأحدث نظم الإدارة التي تمكنهم

من بلوغ أقصى معدلات النفع بالوقف وأن تتيح أمامهم السبل للإبداع
والابتكار.

¹ الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي، محمد دسوقي، ج 2، ص 92

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
ومع وجود الإدارة الرشيدة للأوقاف، لابد من توفير ضمانات المراقبة
الجادة والمتابعة المستمرة من قبل الواقف من جهة والمجتمع من جهة ثانية
والدولة من جهة أخرى.¹

4- وجود أنظمة وأساليب تمويلية واستثمارية حديثة: عمارة الوقف تستلزم
وجود أنظمة وأساليب تمويلية واستثمارية على درجة عالية من الكفاءة
الاقتصادية، بحيث تعمل على تنمية الأصول الوقفية، وتطوير طرق استثمارها في
نطاق صيغ الاستثمار الجائزة شرعا بأفضل الوسائل وأكفأ النظم وأفضل العناصر
التي تزيد وتعظم من أصول هذه الأموال الوقفية.

5- نشر ثقافة الوقف والتعريف به: باستخدام وسائل الإعلام المختلفة،
وهذا دور الإعلاميين.

6- ونأتي في الأخير إلى دور الدول والحكومات في تفعيل الوقف
والنهوض به، فهي مدعوة إلى أخذ مسألة الوقف بعناية وجدية وليس فقط
باعتباره واقعا موروثا يجب الإشراف عليه وتسيير ما هو قائم على ما هو عليه،
بل عليها اعتباره أمانة واجبة الرعاية والتطوير، كونه ركيزة أصيلة من وسائل
التنمية، ومن التدابير التي يجب على الحكومات اتخاذها في هذا الصدد ما
يلي:²

1. اعتماد الشفافية التامة والصرامة الضرورية في تسيير الأموال
والممتلكات الوقفية وإشراك العلماء والنزهاء والمحبيين في تسييرها ومراقبتها،
ومن المعلوم أن ما يصيب الأموال الحبسية من سوء تدبير ومن تبذير واختلاس
أو تفويت للحقوق وما يحيط ببعض جوانب الإشراف على الأوقاف من شكوك

¹ محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص 22

² الوقف الإسلامي، مجالاته وأبعاده، عن موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم
الثقافية. www.esesco.org.ma.

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة
وشبهات، كل ذلك يؤدي بالناس إلى الإمساك عن تحبيس أموالهم. بمعنى آخر
حتمية بناء الثقة بين المسلم والدولة.

2. تيسير القوانين والتشريعات والإجراءات الإدارية للتحبيس، ذلك أن
الذين يتبرعون ويتخلون عن كريم أموالهم لفائدة أمتهم ومجتمعهم يجب أن
يلقوا كل تسهيل بل كل ترحيب وتشجيع وتكريم بعيدا عن كل عرقلة أو
مماطلة .

3. السماح للمحبسين باعتماد الطريقة التي يختارونها لإدارة أحباسهم
والتصرف فيها. ومما لا خلاف فيه بين الفقهاء أنه يجوز للمحبس أن يبقى
مشرفا ومسيرا بنفسه لحبسه، كما أن من حقه أن يوكل على ذلك من شاء من
الناس. فمن سلم حبسه للدولة فذاك، ومن أبقاه تحت إشرافه أو عين له ناظرا
فله ذلك. وهذا يشجع المحبسين ويكثرهم.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث حول الوقف ودوره في عملية التنمية في مجالاتها
الدينية، الاجتماعية، الاقتصادية والتعليمية، ووقوفا على أسباب انحساره وانتهاء
بعوامل تفعيله، وقفت على جملة من المؤشرات التي يمكن أن تكون هادية
لمزيد من تفعيل دوره والسمو بتحقيق أعلى درجات التنمية، هي:

1. التشجيع والحث على بناء أرضية راسخة من الفهم لمفهوم الوقف
وتحريض الفئات الفاعلة في المجتمع لتحريك الهمم والجهود للوقف.
2. استحداث قوانين مواكبة لوتيرة التحضر والتقدم الاجتماعي تساهم
في الارتقاء بالوقف.

3. إعداد منهج دراسي علمي موحد ومستقى من تعاليم الشريعة
الإسلامية لتدريس علوم وفقه الوقف في المراحل التعليمية المختلفة.
4. الاهتمام بتدريب الكوادر العاملة في المجالات الوقفية.

دور الوقف في التنمية والسبيل إلى تفعيله..... أ. فتيحة محمد بوشعالة

5. التركيز على دور الإعلام في نشر ثقافة الوقف والتعريف به والاعتماد في ذلك على الوسائل الحديثة من انترنت وفصائيات وغيرها. وفي الختام نسأل الله التوفيق والسداد وأن يتقبل هذا الجهد المتواضع في سبيل إبراز مكانة الوقف وأهميته في المجتمع والعمل على تفعيل دوره.